تدل على قلة الخبرة والمسؤولية الوطنية

التواءات مسار الجدار تحولت الى ما يشبه الكلاسيكية الاسرائيلية بفن الكذب

■ قصة التواءات مسار الجدار تحولت في الأمن الى ما يشبه الكلاسيكية الاسرائيلية. توجد فيه جميع المركبات التي قلبت العمل العبري الى عمل في المسائل وواجبات الأمن لـ«مهزلة».

وأكثر من كل ذلك، فان العملية الاستيطانية التي أُعدت لتكون جدارا آمنا، تحولت الى «جدار الأمن» والى نصب يمثل جميع أضرار ومساوىء الاحتلال. فبالاسمنت، والأسوار والقنوات، والاعمال التي تقوم بها طواقم التفكيك، فانها تستحوذ على المعرفة، والانفاق، والاصرار وقساوة القلب التي بها نحتل ونخنق الأمن والمستقبل.

على الرغم من المبادرة المباركة لوزير الدفاع، فان عمير بيرتس ايضا يعرف أنه لا يمكن التخلص من الحقيقة الخاصة بمسارات اقامة الجدار، لأن الأكاذيب هي «في صلبها». جدار الأمن الأصلي ـ المطالبة المنطقية لاقامة الجدار كخط يمكن الدفاع عنه والدفاع عن مواطني اسرائيل من العمليات المسلحة في قلب البلاد التي تأتي من داخل الخط الاخضر، وبمبادرة مشتركة من قبل كبار قادة الجيش الاسرائيلي السابقين ومن الاستيطان العامل، وحكومة شارون قد امتنعت عن اقامته لأن مضامينه السياسية كانت «الانطواء». وعندما تقرر اقامة هذا الجدار، وبتأخير مأساوي كلف دماء الكثيرين، وُلد فجأة وبسرعة. وفي الوقت الذي كانت فيه الحكومة تعيد اعلان بياناتها أمام مواطنيها والعالم بأن الحديث لا يدور عن تحديد حدود الدولة، بل عن مسار أمني فقط، وفعليا وُضع الجدار حسب المعايير العامة لاسرائيل «بين كل نقطتين يمر خط ملتوٍ واحد»، كأفعى سامة ملتوية، التي تُحدث المرارة لحياة السكان الفلسطينيين ولم يتوقف عن التهديد الذي ينغص الحياة والأجواء بصورة عامة.

وعمير بيرتس لا يتوجب عليه أن يذهب بعيدا لكي يتعلم بأن هذا الكذب الأمني له أرجل، وهذه الأرجل هي نفسها التي حولت المستوطنات الى ما يشبه بئر التوظيف المالي الكبير الذي يقف في حلق الدولة. فابتداء من هذا المساء يمكن للجمهور ايضا الذي ابتلع أكاذيب الجدار بشهية دائما من قبل الحكومة وموفديها، أن يفعل ذلك دون القيام من مكانه، وعن طريق النظام الجديد «جدار، سور، حدود»، والذي سيبث في القناة الاولى، فان المخرج ايلي كوهين، الذي وثق اقامة الجدار منذ بدايته، يعرض في ثلاثة أجزاء حادة الحقائق القاسية لهذا الحدث، والغباء في سرقة معرفة الجمهور. تكفي مشاهدة الجزء الاول، الذي يوضح كيف أُدخلت فجأة الفيه منشه الى داخل منطقة الجدار، لكي نفهم عدم الصدق الاسرائيلي منذ البداية والذي لا يصمد كالتحقيق الذي أجراه الجيش الاسرائيلي في غزة. ومواطنو دولة اسرائيل مدعوون للتعلم والاستفادة كيف اشتغلوا عليهم، وكيف يقيمون مأساة للأجيال، وكيف تحول هذا الجدار الضروري للأمن لما يُسبب ذرف الدموع للأجيال القادمة وكيف يدل على قلة الخبرة والمسؤولية الوطنية.

حول العمى

زعماء الوسط العربي يخطئون بأنهم يثيرون النفوس ضد الاعتقالات التي جرت لمشبوهين في شفا عمرو. فعلى الرغم من الظروف المفزعة للمذبحة التي نُفذت ضد المخرب اليهودي في قلب المدينة العربية، «مجزرة»، فانها عملية مثيرة لا يمكن تجاهلها أو الدفاع عنها. ومع ذلك، من الصعب تجاهل الاسم المثير للدلالة على تلك العملية وتلك الاعتقالات، «مصير مشترك». فاسرائيل لم تكن لتتخذ اجراء كهذا في المصير المشترك لجميع مواطنيها بدلا من تجاهل مصير المواطنين العرب المميزين، وتمييز وضغط يسبب اليأس، فان الكثير من هذه التوصيات والخطوات التي نتجت عن عمل لجنة أور، وحتى امتناع الوزير ديختر بأن يُسهم بدوره بالتقليل من هذه الانتقادات الشديدة عليهم – فقط اذا كان يمكن التحدث عن العدل، كان يمكن الطلب بتنفيذ القانون مع الذين نفذوا القانون بأيديهم وبضمير نقي. فطالما أن 20 في المائة من مواطني اسرائيل يعيشون في ظل شعور صادق بالحصار والاهمال، وطالما أنه لا ينفذ قانون مشترك لليهود والعرب على حد سواء، فان الحديث يدور عن تفرقة وليس عن تعايش، وعن كثير من المواد المتفجرة القادمة. وبدلا من التحضير للمصير المشترك، فانهم يواصلون التحضير وبنفس الطريقة لكل ما يثير و«يفعل لك العدو».

فلسطينية تحمل طفلها وتحاول اجتياز فتحة في الجدار الفاصل في القدس

ياعيل غبيرتس
كاتبة في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/21

ليس بالاستخفاف والغطرسة.. كما فعل بيريس

على الحكومة أن تحل مشكلة اطلاق الصواريخ ضمن السياق السياسي والدولي

■ شمعون بيريس وبخ سكان سدروت بسبب الصرخة التي يطلقونها بسبب اطلاق صواريخ القسام. «قسام.. قسام.. كلام بكلام»، قال نائب رئيس الوزراء، مستهزئا، على النمط ابن غوريوني في الوقت الذي سخر فيه رئيس وزراء اسرائيل الاول من الامم المتحدة «أمم متحدة خاوية» عندما أقدم على قراراته الجريئة التي رمت الى تجسيد تصميم اسرائيل في القيام بعمليات انتقامية دفاعا عن أمنها، يُظهر تلميذه بطولة في مواجهة سكانها الصامدين المعرضين للهجمات. الشخص الذي لا يتحرك منذ عشرات السنين خطوة واحدة من دون حراسة ومرافقة، يُنظِّر الآن على سكان تلك المدينة المعرضين للقصف، ويسخر من ردود فعلهم الهستيرية.

سكان سدروت ليسوا وحدهم في ذلك: في بداية الثمانينيات أطلقت كريات شمونة صرخة بعد تعرضها للقصف بالكاتيوشا. عدد غير قليل من سكانها لم يتمكنوا من تحمل القصف الصاروخي وغادروها. وهم ايضا تعرضوا للانتقادات: اعتبروهم هاربين فرارا يُفرطون بمواقعهم.

والى أن اندلعت حرب الخليج الاولى، وأثبتت أن أعصاب سكان تل ابيب لا تقل ضعفا عن أعصاب كريات شمونة: صواريخ السكاد ذات الاصابة الحقيقية المعدومة (حتى بالمقارنة مع درجة التدمير التي تتسبب فيها صواريخ القسام)، دفعت سكان تل ابيب الى الفرار بجموعهم نحو كل الاتجاهات. الأثرياء منهم فروا الى الخارج وفضلوا ايجاد ملاذ هناك. والبعض الآخر توجه الى فنادق ايلات. شلومو لاهط، رئيس بلدية تل ابيب في 1991، كان قد فعل ما يفعله بيريس الآن إذ هاجم سكان مدينته الفارين طلبا للنجاة لانفسهم واطفالهم. وحتى نبرهن على أن هواء قمم القدس لا يضخ مناعة خاصة في عروق سكانها، نُذكر برد فعل سكان جيلو الهستيري عندما تعرضوا لاطلاق النيران من بيت جالا في بداية انتفاضة الاقصى. عندهم ايضا ظهرت علامات الجزع والميل للفرار من الحي، وهم ايضا وجهوا اتهامات صاخبة ومدوية لادارة المدينة (ايهود اولمرت) وقيادة الدولة.

نفس الانسان تميز على ما يبدو بين تعرضه للمخاطر التي تتربص بالسكان عموما، وبين المخاطر التي تحدق به في مكان اقامته الخاص. الانسان يعتقد أن منزله هو حصنه الحصين، وهو يغضب ويفزع ويثور عندما يتزعزع هذا الاعتقاد. في فترة الانتفاضة تعرض اشخاص لعمليات في اماكن عامة، ومع ذلك واصلوا حياتهم الطبيعية تقريبا آخذين بالحسبان وجود خطر على حياتهم. هذا السلوك السوي نبع من الشعور بوحدة المصير والادراك الواعي لضرورة مواصلة العيش في صورته العادية.

الرد يكون مغايرا عندما يكون الضحايا هم سكان منطقة جغرافية محددة فقط، حيث يشعرون أنهم منسيون ومُهملون وأن الدولة تفرط بهم لا تتضامن معهم. هم محقون في شعورهم ايضا: سدروت بعيدة عن أعين الجماهير وعن اهتمام الحكم الرسمي. لو كانت كفار سابا قد تعرضت لقصف الصواريخ من قلقيلية لاهتزت الدولة كلها. من هنا يعتبر من الخطأ مقارنة رد فعل سدروت على الضربات التي تُكال لها وبين رد فعل الجمهور عموما على تحمل العمليات الانتحارية والصمود في وجهها.

في وقت لاحق تكرست عبارة بن غوريون «امم متحدة خاوية» في الوعي السياسي، ليس فقط كتعبير عن التصميم القومي، وانما ايضا كرمز لادراك القوة الذاتية. وبن غوريون قال عبارته تلك ردا على موشيه شريت الذي ذكره بأن اسرائيل قامت بقرار من الامم المتحدة. بن غوريون رد عليه بأن بسالة اليهود وحدها هي التي أقامت الدولة. اسرائيل اليوم أصبحت ذات تجربة كافية لتعرف أن القوة وحدها لن تحقق لها أهدافها، وان رفاهيتها ووجودها حتى منوطان بمكانتها الدولية وقدراتها السياسية. من الأجدر بحكومة اولمرت أن تطبق هذه العبر المستفادة في موقفها من الفلسطينيين، وهي تحاول وضع حد لاطلاق النيران على سدروت.

عوزي بنزيمان
كاتب في الصحيفة
(هآرتس) 2006/6/21

في محاولة لاسقاط حماس ووصمها لدى الرأي العام

الجيش حاول تهيئة الخلفية المناسبة لاظهار حماس والفلسطينيين أنهم الجانب العدواني في النزاع

■ في الخطاب الاسرائيلي، اسرائيل دائما هي الطرف الذي يضبط نفسه في مواجهة الفلسطينيين. هكذا كانت الحال ايضا في أحداث الاسبوع الماضي: ففي حين كانت تسقط صواريخ القسام في سدروت، «سُرب» أن وزير الدفاع فرض ضبط النفس على الجيش.

في اسبوع ضبط النفس قتل جيش اسرائيل عائلة فلسطينية خرجت تستجم على شاطىء بيت لاهيا في القطاع. بعد ذلك قتل تسعة أفراد من اجل أن يُبيد صاروخ كاتيوشا. ولكن في خطاب ضبط النفس، الحادثة الاولى لا تعتبر، لأن الجيش أنكرها، وكانت الثانية عملا ضروريا للدفاع عن النفس، لأن اسرائيل، الموجودة في أوج هجوم صواريخ قسام، يجب أن تدافع عن مواطنيها. في هذه القصة، الاكتفاء بقصف القطاع من الجو والبحر والبر، نموذج من الانسانية وضبط النفس لم تكن لتثبت له دول كثيرة.

اذن ما هو مصدر هجوم صواريخ القسام؟ حماس تحافظ على هدنة أعلنت عنها منذ 17 شهرا ولا تشارك في اطلاق صواريخ القسام. المنظمات الاخرى تنجح على نحو عام في اطلاق صواريخ قسام متفرقة فقط. كيف وصلنا الى هجوم بنحو 70 صاروخ قسام في ثلاثة ايام؟ الجيش يملك تراثا طويلا من «استدعاء» وابل صواريخ القسام. في نيسان (ابريل) من السنة الماضية شخص شارون في لقاء بوش، وكان الايحاء الرئيس لتلك الزيارة: عباس ليس ثقة وليس شريكا في التفاوض. الجيش من جانبه اهتم باعطاء الخلفية المناسبة. عشية شخوصه، في التاسع من نيسان (ابريل)، قتل الجيش الاسرائيلي على حدود رفح ثلاثة فتيان، لعبوا بحسب مصادر فلسطينية كرة القدم هناك. هذا القتل الراتب أجج الغضب في القطاع، الذي حافظ حتى ذلك الحين على هدوء نسبي. ردت حماس على غضب الشارع وأجازت لأفرادها المشاركة في اطلاق صواريخ القسام. في اليومين اللذين تليا ذلك أُطلق نحو 80 صاروخ قسام، الى أن أعادت حماس الهدوء كما كان. وهكذا حصل العالم على تجسيد تام لعدم الثقة بعباس.

في بداية الاسبوع الماضي شخص اولمرت في رحلة اقناع الى اوروبا، ليقول إن اسرائيل لا تملك شريكا الآن مع كون حماس في السلطة. لا تحتاج الولايات المتحدة الى اقناع الآن، ولكن في اوروبا تحفظات كثيرة من الاجراءات من طرف واحد. ابتدأ الجيش الاسرائيلي يُعد الخلفية في يوم الخميس الماضي 6/8، عندما اغتال أبو سمهدانة، الذي عينته حكومة حماس قائدا لقوات أمن وزارة الداخلية. كان من الواضح تماما أن هذا الأمر قد يفضي الى هجوم بصواريخ القسام على سدروت، ومع كل ذلك واصل الجيش في الغد قصف شاطىء غزة، ونجح في التأجيج المطلوب، الى أن أمرت حماس رجالها بالكف عن اطلاق النار كما حدث في المرة السابقة (في 6/14).

في هذه المرة، شُوش عرض الجيش قليلا. نجحت صورة البنت هدى غالية في اختراق سور تجاهل الغرب للمعاناة الفلسطينية. حتى لو كانت اسرائيل ما زالت تملك ما يكفي من القوة لارغام كوفي عنان على الاعتذار لأنه ارتاب في مصداقية الإنكار الاسرائيلي، فان رسالة أن حماس هي الجانب العدواني في المواجهة لم تجُز هذه المرة في العالم. لكن الجيش لن يتخلى وسيواصل خلق تسويغ اسقاط حكومة حماس بالقوة، اعتمادا على سدروت.

بالرغم من أنه لا تمكن التسوية بين معاناة سكان سدروت ومعاناة سكان بيت حانون وبيت لاهيا، الذين سقطت عليهم خمسة آلاف قذيفة في الشهر الأخير فقط، فان قلبي متألم ايضا لسكان سدروت. قُضي عليهم أن يعيشوا هكذا، لان معاناتهم في نظر الجيش ضرورية ليفهم العالم أننا الطرف الذي يضبط نفسه في الحرب على جوهر وجودنا.

تانيا راينهارت
كاتبة في الصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/21

اسرائيل لا تصنع معروفا مع أحد اذا ما استوعبت العمال الاجانب وعائلاتهم وتخلصت من العنصرية المترسخة فيها

■ ما العلاقة بين صواريخ القسام وبيت وزير الدفاع في سدروت، وبين مكانة أبناء العمال الاجانب في البلاد؟ رغم كل التباينات والفوارق القائمة، هناك أمران يربطان المسألتين معا على الأقل. الاول هو وجود حالة إرباك كبيرة. نحن لا ننجح في القضاء على صواريخ القسام، وهذه مسألة مخجلة بدرجة فظيعة لدولة اقليمية عظمى. الصلة الثانية بين المسألتين هي وجود خلل أساسي وجوهري في طريقة نظرة اسرائيل لنفسها. في عام الاستقلال الثامن والخمسين، ما زالت هذه الدولة عاجزة عن وضع حدودها لنفسها، وكذلك لطابعها القومي على المدى الزمني. الاسلوب السياسي والاجتماعي الذي يتبعه الطرف القوي في المنطقة في سنوات الألفين، يُذكر احيانا بالرأس المربك ـ في نظرة الى الوراء ـ الذي كان لدى غولدا مئير.

لا يوجد لدى محكمة العدل العليا والمنظمات الجماهيرية الشعبية ما تقوله حول المناطق. ولكن محكمة العدل العليا (في التماس قدمته منظمة حقوق المواطن ومركز مساعدة العمال الاجانب والمحامي دوف كيرنر) أجبرت الحكومة في الواقع على تغيير الخط الذي اتبعته هي وسابقاتها مع العمال الاجانب وعائلاتهم التي تُحصى بالآلاف. جون سوارز، ابن السادسة عشرة والنصف، مثلا هو طالب في ثانوية روغوت بن في تل ابيب. شقيقه ريتشارد، ابن الخامسة عشرة، في الاعدادية. بماذا يقل هذان الولدان عن رفاقهما من مواليد البلاد؟ هما يشاركان في كل الأنشطة والفعاليات التي يشارك فيها أقرانهما، ويتشوقان للخدمة في الجيش الاسرائيلي لاستكمال بلورة هويتهما الاسرائيلية رغم ولادتهما في كلومبيا، لذلك تجاوزا قرار الحكومة السابقة رقم 3807.

وفقا للقرار غير العادل ـ وغير الحكيم بالأساس ـ يحق لمواليد البلاد الذين جاؤوا الى البلاد بصورة شرعية ومضى على وجودهم عشر سنوات، البقاء في البلاد مع والديهم. أما الباقون فمهددون بالابعاد عن البلاد. قرار الحكومة وأوامر وزير الداخلية قومت هذا القرار الظالم بعض الشيء، ووعدت مجموعة صغيرة من الاجانب بالحصول على الجنسية.

قرار غير كاف. يتوجب منح هذه المكانة لكل من جاء الى هنا وواظب على البقاء عبر السنين طالبا ربط مصيره بمصير هذه البلاد. ولكن الحكم الذي تعامل حتى الآن مع أقلية صغيرة بصورة مخزية، سيعرف كيف يشفي نفسه بعض الشيء من غريزة كراهية الاجانب. هو تغلب على عنصريي شاس وأشباههم الذين يخشون على هوية الدولة اليهودية وكأنهم ليسوا على رأس المعرقلين لوجود هذه الهوية في نظام القهر الديني تجاه الاغلبية العلمانية. من الممكن القول ان اختبار الاسرائيليين للعائلات الاجنبية البالغة 460 التي يدور الحديث عنها لا يقل نجاحا، وربما يفوق، ذلك الاختبار الذي اجتازه مواطنون في الدولة خلافا لرغباتهم.

نحو 16 ـ 20 ألف اجنبي في بلادنا اعتُبروا مؤخرا في تقرير امريكي كمن يعيشون في ظروف أقرب الى العبودية. اسرائيل موجودة في التقرير الى جانب البحرين والجزائر وبوليفيا ودولة غربية واحدة هي جنوب افريقيا التي لم تتخلص بعد من بقايا العبودية. لماذا يكون مصيرهم اسوأ من مصير مئات آلاف المهاجرين من الاتحاد السوفييتي سابقا الذين تشبثوا بطرف قرابة مع جدة نصف يهودية؟ الهجرة الروسية، ومن ضمنها غير اليهود، كانت ناجعة جدا للاقتصاد وكذلك لنظافة المنازل. مناعة اليهودية العالمية ترتكز عبر السنين على حقوق المهاجرين التي اكتسبت بالآلام والعذاب. التوراة تدافع عن القاطنين في داخلنا، ووثيقة الاستقلال كذلك، وكل القرارات القضائية السابقة.

نحن لا نصنع معروفا لأي أحد عندما نُعدل القوانين والتشريعات. البركة ستأتي لمجتمعنا اذا ما أدركنا أن الانفصالية العرقية والتوقع ليس في مصلحته. الاغلبية اليهودية ستتعاظم بتنوعها وليس من كراهية الاجانب التي تنضح فيه حتى الآن. ولماذا نُقلد حماقات امريكا أكثر من تقليد ذكائها في استيعاب الهجرات الهائلة؟ من دون هذه الهجرة لم يكونوا لينعموا باليهودية الخصبة في بلادهم، ونحن لم نكن لنحصل على الجباية اليهودية واللوبي الاسرائيلي ولا برونالد لاودر حتى.

جدعون سامت
كاتب دائم في الصحيفة
(هآرتس) 2006/6/21

الحكومة واولمرت يُلحان في الاستمرار في الانطواء

وابل صواريخ القسام على سدروت يبرهن ان معارضي الانفصال كانوا على حق

■ عندما حقق اريبل شارون خطة الانفصال من غوش قطيف، سُمعت اصوات، غير كثيرة، بين ساسة ومسؤولين كبار في الجيش الاسرائيلي، حذرت من أن المناطق التي ستُخلى ستُستغل لهجوم بالصواريخ وقذائف القسام على بلدات في اسرائيل. رفض شارون ورفاقه في الحكومة هذا التنبؤ الكئيب، ووعدوا بأن اسرائيل بعد الاخلاء ستوجد في وضع أمني يُحسن قدرتها على محاربة الارهاب.

لم يخطر في بال أحد أن سدروت ستكون هدف اطلاق يومي لصواريخ القسام، التي تسببت حتى الآن بموت خمسة. يفت اليأس في أعضاد كثير من سكانها ويفكرون بصوت مسموع بـ«انفصال ذاتي» من المكان. أما أعضاء الحكومة (باستثناء عمير بيرتس، وهو من سكان المدينة) فيبدون غير مكترثين للوضع، الذي يصيب السكان فيه الخوف على حياتهم وحياة أبنائهم ويطلبون أن تفي الدولة بواجبها وأن تخرج في حرب لا هوادة فيها لمستعملي الارهاب.

في أعقاب الاضراب عن الطعام فقط ومظاهرات سكان سدروت، واستقرار رأيهم على اغلاق المدينة، أعلن وزير الدفاع عن «خطوات دراماتية» ستتخذ اذا ما استمر هجوم صواريخ القسام. حتى إن اعضاء الحكومة مستعدون للتأييد بغير إثارة الشبهة للصيغة الثانية من الانفصال من غير أن يفحصوا فحصا عميقا عن الأخطار الكامنة فيه. حتى أننا لم نسمع أن الحكومة قد بحثت بتعمق مناسب الرد الدولي الذي يتحفظ من فكرة اولمرت.

عندما عبّر رئيس الحكومة تعبيرا علنيا عن خطته، تحدث بثقة عن نيته اجراء «حوار دولي»، صدورا عن قناعة بأنه سينجح في الحصول على تأييد الولايات المتحدة والجماعة الاوروبية. في الرحلات التي قام بها اولمرت في الاسابيع الأخيرة الى عدة دول، استُقبل بحرارة ومشايعة لكن انتظرته خيبة أمل.

لم يكن واحد من رؤساء الدول الذين التقاهم (بوش، وبلير، وشيراك، ومبارك والملك عبد الله) مستعدا للأخذ بفكرة الانطواء. انهم يعتقدون أن السلام المستقر بين اسرائيل والفلسطينيين سينشأ فقط على أساس اتفاق بين الطرفين. قبل أن يودع اولمرت اوروبا شهدنا مشهدا عجيبا: حاول عدد من أفراد حاشيته بمساعدة أفراد معينين من الاعلام، تبيين أن رئيس الحكومة كان يستطيع أخذ انطباع أن فكرته لم تُرفض رفضا تاما، وأنها قد يُفحص عنها من جديد في المستقبل. كم تبدو هذه التقديرات بائسة الآن. لم تتحمس الولايات المتحدة للخطة، وبعد يومين من عودة رئيس الحكومة من باريس، نشر تصريح صادر عن الاتحاد الاوروبي يرفض فكرة أن ترسم اسرائيل حدودها على نحو أحادي. بمقابلة ذلك، عاد وأعلن بحزم الملك عبد الله ورئيس مصر مبارك أنهما يعارضان خطة الانطواء.

تستحق اقوال محمد دحلان، من رؤوس فتح، في مقابلة مع صحيفة «هآرتس» الانتباه اليها حيث حذر من أن نتائج الانطواء ستكون عنفا زائدا باسرائيل و«لن يُختصر ذلك باطلاق صواريخ القسام».

في هذه الظروف يبدو أن رئيس الحكومة كان يُحسن الصنع لو ترك الآن العناية الوسواسية بالانطواء، الذي لا يشتريه أحد في العالم. وبدل ذلك، ينبغي أن يبذل جهده في الشؤون العاجلة للدولة، وعلى رأسها إزالة التهديد عن سدروت وجاراتها، ومنع هجرة السكان، قبل أن تحدث، لا سمح الله، كارثة، توجب على اسرائيل أن تأخذ بوسائل غير تقليدية لوضع حد لهوج منظمات الارهاب.

يوسف حريف
كاتب يميني مخضرم
(معاريف) 2006/6/21

حتى لو كان هناك من يعتقدون أن النشر النقدي يمس بأمن الدولة

القبول الأعمى لتصريحات أو مواقف رسمية لا يخدم المجتمع

■ المجتمع الاسرائيلي، مثل مجتمعات اخرى ايضا، لا يحب النقد الداخلي. يفترض أن يخدم الاسرائيلي، قبل كل شيء، اسرائيل والاسرائيلية. تستطيع خدمة كهذه، بحسب التصور السائد أن تشتمل ايضا على عدم الكشف عن الحقيقة والتسليم لأنصاف الحقائق. يُنظر الى النقد ووضع علامات الاستفهام، في أحيان كثيرة، كمس بالأمن وكتسليم العدو سلاحا.

الصحافيون الذين يستعرضون نشاطات الجيش الاسرائيلي يواجهون أكثر من مرة هذه المعضلة. هل يمكن للنشر أن يُسبب المس بالروح المعنوية؟ هل سيمس النشر بأمن الدولة؟ من الذي يستطيع اقتناص الفائدة من النشر؟ وهل يسأل الجانب الثاني اسئلة هو ايضا؟.

في أكثر الحالات، يغلب الاحساس باسرائيلية الدافع الصحافي. يمتنع كثير من الصحافيين عن جعل الامر صعبا على المؤسسة وعلى الجهات المخولة بعلاج الاسئلة الصعبة. يحدث هذا لاسباب كثيرة. بعضهم غير معني بأن يصبح مُثقلا في نظر الجمهور، وبعضهم يخاف، وبعضهم يؤمن ببساطة بالصيغ الرسمية. وبعضهم، مثل سائر الجمهور، يشعر أن طرح الاسئلة في وقت الحرب يشبه نوعا من خدمة الطرف الآخر. يريد أكثر الجمهور الاستمرار في الاعتقاد بأن المؤسسة محقة، لأن هذا يمنح على نحو ما احساسا بالأمن في بحر عدم الأمن الذي نعيش فيه.

قبل نحو من عشرة ايام قُتل على شاطىء غزة سبعة من أبناء عائلة غالية. سارع الجيش الاسرائيلي الى نشر تحقيق، يظهر منه أن أبناء العائلة لم تُصبهم قذيفة للجيش الاسرائيلي. وأنا كمن أستطلع أحوال قطاع غزة، لم تلائم نتائج التحقيق ما تراه عيناي. لقيت الناس وسمعت الاصوات. وشعرت بأنهم لا يقصون علينا الحقيقة كلها.

حظي الجمهور الاسرائيلي بأن يسمع فقط ما كان عند الجهة القوية، والأكثر تأثيرا وأهمية في دولة اسرائيل، أي الجيش الاسرائيلي. تمكنت من أن أُصغي الى من لا نريد سماعهم، الى الفلسطينيين. الاشياء التي سمعتها ورأيتها قادتني الى أن أنفذ تحقيقا يخصني. نشرت نتائجه في القناة العاشرة وأثارت عاصفة كبيرة، لأن أكثر الجمهور الاسرائيلي شعر في لحظات كهذه أن مهمة الصحفي ألا يسأل اسئلة، بل أن يقبل الاشياء كما تعرضها المؤسسة.

لكن جوهر الديمقراطية هو طرح الاسئلة، وهذا هو لب لباب النظام الديمقراطي. مهمة الصحافي هي التشكيك وفتح الأنظار. الصحافي الذي يقبل الاشياء بصيغة أنظر وقدس هو صحافي أعمى. العمى يعني اعطاء النظام والمؤسسة امكانية أن يفعلا ما يحلو لهما. يوجد توتر دائم لسنين طويلة بين حرية الصحافي وقضية الأمن القومي. في تصوري، أمننا القومي متعلق بقدرة المؤسسة واستعدادها على قول الحقيقة للجمهور. تكمن منعتنا الحقيقية كمجتمع في قدرتنا على اجراء نقاش مفتوح، حتى عندما لا تكون نتائجه لصالحنا. المجتمع القوي ليس قادرا فقط على احتمال النقد، بل على أن ينقد نفسه ايضا.

في 1971 رفضت المحكمة العليا في الولايات المتحدة قرار منع «نيويورك تايمز» من نشر كشوف صحافية تتعلق بالتدخل الامريكي في كوريا الجنوبية. كتب القاضي بوتين ستيوارت ما يأتي: «في مجالات الأمن القومي والعلاقات الدولية يمكن أن يكون الحاجز الأكثر جدوى في تعويق سياسة السلطة التنفيذية وصلاحيتها جمهور مواطنين متنورا وذا رأي.. من غير صحافة حرة ذات علم لا يمكن أن ينشأ رأي عام حكيم متنور». في حالة تحقيقي وتحقيقات اخرى ليس لي إلا أن أوافق على كلماته. المجتمع القوي هو مجتمع مُحقِق، وهو مجتمع عالِم.

شلومي الدار
مراسل في القناة العاشرة للشؤون العربية
(معاريف) 2006/6/21

النهج الهجومي العسكري في غزة يقوم على مبدأ التدريج: البحث عن أهداف لضربها.. احتلال مواقع والبقاء فيها.. والتركيز على عمق الاحتلال البري

■ في قيادة الجيش يسود شعور باطلاق الأعنة، وأن العملية العسكرية في غزة تتعلق بالفرصة الملائمة القادمة. عندما خرج قادة الجيش ورئيس هيئة الاركان من النقاش الذي جرى لدى وزير الدفاع في يوم الاثنين صباحا، سجلوا لانفسهم أن «نهج بيرتس» لم يعد يستخدم التلميحات والرموز. هو ينتقل مباشرة نحو الوجبة الأساسية.

الآن يتوجب بلورة الفرص: معلومات استخبارية، أهداف نوعية، حتى تترك الوجبة الأساسية بصماتها على الطرف الآخر. الجيش على أهبة الاستعداد، محبط وجائع بسبب عدم الفعل والشعور بالعجز الذي فُرض عليه. في هذه الاثناء، وبعد ضبط نفس قسري لستة ايام من القسام، قام الجيش بهجوم تلقائي: في يوم الاثنين ليلا تدرب على قصف جوي صغير لخرطة في غزة. هذه ليست الوجبة الأساسية بعد. ولكن اذا كانت القرارات قد صدرت ـ فيجب التقدم نحو الأهداف الموجودة في الطريق.

بالون في سماء غزة

على الجيش أن لا يبتدع لنفسه خططا جديدة. لديه نظرية واضحة في مجال القتال في غزة، وقد تدرب عليها قبل عدة اسابيع فقط. النهج الهجومي العسكري في غزة ما بعد فك الارتباط، يقوم على التدرج. الدرجة الاولى تسمى «قتال من الناحية الاخرى»، وفي اطارها يقومون بالعمل العسكري من دون إبراز الوجود البري الطويل على الارض. هذه الدرجة تتكون من عدة فصول: الفصل الاول يركز على اطلاق النار الاحصائي من اسلحة غير دقيقة نسبيا مثل المدفعية البرية والبحرية. الحديث في هذا السياق يدور في الأساس حول اطلاق النار نحو مناطق مفتوحة من اجل الردع. من الممكن ايضا اضافة «البوم» المخترق لحاجز الصوت الى هذا القصف غير الدقيق، وذلك من اجل المزيد من الردع النفسي وفقا لقرار المستوى السياسي والعسكري، يمكن القول ان المدفعية قد أنهت دورها المركزي لاسباب تتعلق بالنجاعة والاخلاق، وسيحل محلها اطلاق النار الجوهري المكثف من الجو ضد المؤسسات الرسمية والعامة التابعة لحماس، وضد معسكرات التدريب وقيادات المنظمات الارهابية.

الفصل الثاني في القتال هو القتل المستهدف وسياسة الاغتيالات المركزة التي تعتبر الفصل الأكثر ملاءمة اليوم. الجيش تبنى النظرية التي نادى بها «الشاباك» بصدد نجاعة ضرب قيادة حماس العسكرية والسياسية والقيادات الارهابية الاخرى. موقف الجيش اليوم هو: الدخول في برنامج طويل يتم فيه ضرب القيادة العسكرية لحماس والمنظمات الاخرى. هذا الى جانب الضرب الموقعي المركز لكل من له علاقة بمسلسل القصف الصاروخي: المهندسين، المنتجين، النقل والقصف.

التصفية المركزة تتم بسلاح دقيق ومشروط بمعلومات استخبارية في الزمن الحقيقي. وعلى ذلك يعكفون اليوم على الحديث عن «خلق الفرص». في هذه النقط توجد مشكلة: جزء غير بسيط من المواقع الانتاجية والمخازن موجود في مبان مأهولة بالسكان. هذا السبب سيبقي السؤال في كل عملية اذا كانت القيادة السياسية ستسمح للجيش بمثل هذه الضربات. ونفس الشيء يُقال عن ضرب قادة الفصائل القاطنين في منازل مأهولة بالمدنيين الأبرياء. أمس حاولوا تصفية خلية تقوم بالقصف من مخيم جباليا. العملية قتلت ثلاثة اطفال فلسطينيين، الامر الذي يعتبر مثالا دقيقا على «الضرر البيئي» الناجم عن مثل هذه العمليات.

تشارك في عملية القتل المستهدف اسلحة من الجو والبر. في يوم الثلاثاء الأخير فقط انضمت لهذه المنظومة وسيلة جديدة: بالون يُحلق فوق شمالي القطاع لتصوير الخلايا والبث للوسائل القتالية بصورة سريعة ومحوسبة. هذه المنظومة ستدخل حيز العمل الكامل خلال فترة قصيرة نسبيا.

في هذا المستوى من الخطة التدريجية، نمر الآن، حيث يتم البحث عن أهداف ومواقع لتوجيه الضربات اليها. وكلما كانت الأسماء جذابة أكثر، كلما كان النجاح والردع أكبر. يتبين من تصريحات وزير الدفاع أنه يتوقع حدوث ذلك خلال «بضع عشرات من الساعات». من الممكن اضافة الكمائن والعمليات الخاصة التي تُنفذ داخل القطاع من اجل تنفيذ عمليات تصفية ممركزة بواسطة القوات الخاصة البرية.

فصول في الاحتلال

المستوى الثاني هو درجة وسطى انتقالية: احتلال مواقع على الارض والبقاء فيها. المقصود هنا السيطرة على منطقة معينة بواسطة النيران: تحديد حدود معينة وإعلام السكان بحظر تجاوزها، وأن كل من يدخل منطقة الحظر سيُقتل. الجيش جرب ذلك قبل عدة أشهر إلا أنه يواصل العمل لأن هذا النمط من العمليات يتطلب ميزانيات كبيرة وسيطرة جوية واستخبارات متواصلة. الدرجة أو المستوى الثالث: اقامة منطقة عازلة من خلال دخول القوات لفترة زمنية طويلة. لا يوصي أحد بذلك، ولا يرغب فيه، ولكن الجميع يقولون اننا سنتدهور الى هذا الوضع. الصيغة في هذه الحالة بسيطة: كلما كان ثمن الدخول مرتفعا (عبوات، كمائن، كما يفعل الفلسطينيون في هذه الايام بالتحديد)، ازدادت إلحاحية التواجد الطويل على الارض من اجل توفير ثمن الدخول والخروج في كل مرة. ومن هنا، كلما كان التغلغل أكبر ازداد طول المدة التي تبقى فيها القوات هناك. اذا دخلوا الثلاثة كيلومترات سيبقون عدة اسابيع. الدخول الى المنطقة المأهولة ـ مثل بيت حانون وبيت لاهيا ـ سيستوجب البقاء لاسابيع طويلة وتوفير قوى بشرية مضاعفة. في المستوى الثالث توجد عدة فصول فرعية يتعلق كل منها بعمق الاحتلال البري. أحد هذه الفصول يركز مثلا على احتلال شريط زراعي على طول شمالي القطاع. الفصل الثاني يضيف له المنطقة المأهولة: بيت لاهيا وبيت حانون. وهناك ايضا فصول احتلال أكثر عمقا ويستوجب عزل مدينة غزة واحتلال القسم الشمالي من القطاع أو تقسيم القطاع الى أجزاء واحتلاله كله. في هذه الحالة يستوجب الأمر استخدام فرق عسكرية كاملة.

كل هذه الفصول والمستويات التدريجية جاهزة. وقد تم التدرب عليها. والأمر الآن منوط بقرار المستوى السياسي فقط.

اليكس فيشمان
المراسل العسكري للصحيفة
(يديعوت احرونوت) 2006/6/21